



## التعايش في المجتمع الإنساني بين ضبابية المفهوم وقابلية تطوير نماذجه استناداً إلى البيولوجيا.

"دراسة في التشابه الجزئي بين التعايش في المجتمعين البيولوجي والإنساني"

**Coexistence in the human society: the ambiguity of the  
concept and the ability to develop its models based on  
biology.**

"A study of the partial similarity between coexistence in biological and human  
societies"

الاسم: يارا البرادعي

الرقم: 282

عدد الكلمات: 6947

الشؤون العلمية:

التوقيع:

## فهرس المحتويات:

3	الملخص.....
4	المقدمة.....
4	أهمية البحث.....
4	الدراسات السابقة.....
5	إشكالية البحث و تساؤلاته.....
5	فرضيات البحث.....
6	منهجية البحث.....
	هيكلية
6	البحث.....
7	المبحث الأول: مفهوم التعايش في المجتمع الإنساني.....
7	المطلب الأول: التعايش لغةً و اصطلاحاً.....
11	المطلب الثاني: التعايش و التسامح بين الترادف و الاختلاف.....
	المبحث الثاني: دراسة التشابه الجزئي بين التعايش في المجتمع البيولوجي و التعايش في
14	المجتمع الإنساني.....
14	المطلب الأول: الأساس النظري لعملية المشابهة الجزئية.....
17	المطلب الثاني: نتائج المشابهة الجزئية و التوصيات.....
25	الخاتمة.....
25	النتائج و التوصيات.....

**ملخص:**

إن مصطلح التعايش لم يُؤطر حتى اليوم بإطار واضح يميّزه عن "مرادفاته" اللغوية غير الصحيحة، ويصبغه بصبغة خاصة بطبيعة كل مجتمع، بحيث يصبح أداةً لتثبيت أواصر العيش المشترك وتعزيز المناعة المجتمعية تجاه المؤثرات الخارجية التي غالباً ما تكون مؤدجلةً، والهدف منها هو تقويض البناء المجتمعي وتفتيته، لإحداث شروخ بين الفئات المجتمعية المختلفة، ولزيادة الاحتقان بينها بحيث تتنازع على ما هو حقّ لها جميعها. وإنّ الفرق الرئيسي بين التعايش وما يُستخدم للتعبير عنه من مصطلحات أخرى يكمن في نوعية التفاعلات التي تقتضيها كلّ من هذه المصطلحات بين أفراد المجتمع، ومن الممكن العمل على تطوير هذا المفهوم وتعزيز نماذجه الإيجابية وإقصاء نماذجه السلبية بدراسة التعايش في المجتمعات البيولوجية نظراً للارتباط الوثيق بين العلوم جميعها.

**Abstract:**

The term "coexistence" has not been framed yet in a clear framework that distinguishes it from its incorrect linguistic "synonyms", and dyes it with a special dye that is based on the nature of each society, So that it becomes a tool for establishing bonds of the mutual living, and enhancing societal immunity towards external influences, which are often ideologized; and their aim is to undermine and fragment the societal construction, to cause cracks between different societal groups, and to increase congestion between them so that they contest against each other to get what is known as a right for all of the groups. The main difference between coexistence and the other terms used to express it lies in the quality of social interactions imposed by each of these terms, and it is possible to work on developing the concept of coexistence by promoting its positive models and excluding its negative

models, through studying coexistence in biological societies motivated by the strong interconnection between all sciences.

## مقدمة:

يغدو موضوع العيش المشترك في المجتمعات متعدّدة الأجناس والأعراق والأديان ذا أهمية كبيرة، إذ تتسم هذه المجتمعات بالتعقيد النسيجي الذي يعتبر سلاحاً ذو حدين، فعلى الرغم من كونه سبباً لغنى هذه المجتمعات، يفسر تنوع إنتاجها الفكري والأدبي والفني والموسيقي، ويجعل لها دوراً رائداً في إغناء الحضارة الإنسانية، إلا أنه يشكل عاملَ خطورةٍ حقيقيّ، وخاصرةً رخوةً لها، يُمكن ضربها والحفر فيها لزرع الانقسامات والفتن المذهبية والطائفية وغيرها من النزاعات ذات الأساس الإيديولوجي الضيق. وإنّ مناعة المجتمعات تجاه الفتن و النزاعات هذه يُمكن زيادتها بتطوير نماذج التعايش الإيجابي فيها واستئصال ما قد يؤثر سلباً على هذا التعايش.

ولقد اعتزى مصطلح التعايش الكثير من اللّغظ والضبابية، واستخدمت العديد من المصطلحات للتعبير عنه كالتسامح والتكافل والتعاون، ممّا منع من التمييز بين مفهوم التعايش باعتباره فعلاً اجتماعياً محكوماً بمنطق الحاجة والضرورة، وبين كونه نوعاً من التساكن القائم على التّحمل والتّفضل، والصّبر على أذى "الآخر" و اختلافه والتساهل معه، رغم أنّ واقع المجتمعات الحاليّ المحقّق والمنذر بالمزيد من العنف يفرض بناء العيش المشترك على فهم اجتماعيّ قصديّ وواعٍ، وعلى تعاقد اجتماعي صريح، وعلى قبول واعتراف بوجود الآخر وإقرار بكيونته المتفردة، وحقّه في الاختلاف والاستقلالية ضمن إطار وحدويّ.

## أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث من معالجته لقضية التعايش الإنسانيّ التي لم تُعطى الأهمية الكافية لدراستها في مجتمعاتنا العربيّة على الرغم من كونها قضية حرجة نتعامل معها بشكلٍ يوميّ خصوصاً بعد تقادم النزاعات الطائفية والمذهبية في الشرق الأوسط بشكل عام وفي بلدان ما يُسمّى "بالربيع العربيّ" بشكل خاصّ.

## الدراسات السابقة:

لوحظت قلة الأبحاث التي تعالج هذه القضية من منظور اجتماعي وبعده المجتمع المدني، فيما غلب على الدراسات المتوفرة عنها الطابع الديني الذي جمع بين التعايش والتسامح والتكافل في جميع أدبياته.

كما أنّ قضية الاستفادة من دراسة المجتمعات البيولوجية لدراسة التعايش الإنساني عن طريق المقارنة بين التفاعلات المتبادلة بين الخلايا والأعضاء المختلفة في العضوية الحية والتفاعلات المتبادلة بين الجماعات المختلفة المتعايشة في موطن واحد لم يسبق وأن درست على الأقل في المجتمعات العربية فلم نجد خلال البحث أية دراسات أشارت إلى القضية أو استفادت منها.

### **إشكالية البحث و تساؤلاته:**

يطرح البحث السّوالين التّاليتين:

- 1- هل مصطلحا التعايش و التسامح مترادفان؟ وأيها أصلح للاستخدام في مجتمع متنوع ومتعدّد الأعراق والأجناس والأديان؟
- 2- هل تساعد دراسة التعايش في المجتمعات البيولوجية على فهم وتطوير نماذج التعايش في المجتمع الإنساني؟

### **فرضيات البحث:**

ينطلق البحث من فرضيتين:

أولاً: إنّ عدم وضوح المفهوم السياسي والاجتماعي للتعايش والخلط بينه وبين مفاهيم أخرى تقاربه في بعض النواحي والاستخدامات، وتختلف عنه في نوعية المجتمعات التي تستخدم فيها، وفي نوعية العلاقات والتفاعلات الإنسانية التي تفرضها أدى إلى تطبيق المفهوم بشكل يوجي بالطبقية الاجتماعية وعدم التساوي في المكانة الإنسانية. كما أنّ الترادف غير الصحيح بين مفهومي التعايش والتسامح أسس لسلبية مفهوم التعايش عند البعض ممّا أدى إلى محاربة المفهوم مجتمعياً من قبل بعض الفئات.

ثانياً: هنالك تشابه مهم بين عملية التعايش في المجتمع البيولوجي وذات العملية في المجتمع الإنساني، يمكن دراسته و البناء عليه، والانطلاق منه نحو مزيد من التشابهات التي تمكنا من تطوير وفهم نماذج التعايش المجتمعي.

### منهجية البحث:

اعتمد في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، فقد تم جمع المعلومات والبيانات والتفاصيل الخاصة بموضوع التعايش ومن ثم تحليلها.

كما استخدم المنهج المقارن، عند دراسة التشابه بين التعايش في المجتمعين البيولوجي والإنساني.

### هيكلية البحث:

لقد قسم هذا البحث إلى مبحثين رئيسيين لكل منهما مطلبين، خضنا في البحث الأول بمفهوم التعايش في المجتمع الإنساني، فعرفنا التعايش لغة واصطلاحاً، ثم عرفنا التسامح وميزنا بين المفهومين وبين نوعية التفاعل الإنساني الذي يقتضيه استخدام كل منهما، أمّا في المبحث الثاني فقد قمنا بإجراء مشابهة جزئية Analogy بين التعايش في المجتمع البيولوجي في العضوية الحية و التعايش في المجتمع الإنساني، فبحثنا في الأساس النظري لهذه المشابهة في المطلب الأول ثم انطلقنا من هذه التشابهات المدروسة لبحث المزيد من التشابهات المستتجة في المطلب الثاني.

## المبحث الأول: مفهوم التعايش في المجتمع الإنساني:

عند البحث في الرؤية المجتمعية لمفهوم التعايش، وعمّا إذا كان مفهوماً سلبياً أو إيجابياً لديهم تتفاوت الآراء. إلا أنّ الملحوظ أنّ هناك فئاتٌ تنظر عموماً إلى التعايش على أنه فعلٌ حسن ينمّ عن أخلاق وتربيةٍ جيّدة والتزام بما أوصت به الأديان السماوية من قبول للآخر، وعلى أنّه مرتبط بقيمة التسامح، فيما تنظر بعض النخب السياسية والاجتماعية إلى مصطلح التعايش على أنه يعطي البعض حقوقاً أو "رتبة" في المواطنة تفوق البعض الآخر، أي أنّ التعايش يعني قبول الآخر على مضض وكأنّ هذا القبول مشروطٌ ونقيضٌ للمساواة في الحقوق. ولقد خضنا في هذا المبحث في المعنى اللغوي لمصطلحي التعايش والتسامح وفق معاجم اللغة العربية وفي معنييهما الاصطلاحيين.

### أولاً: التعايش لغة واصطلاحاً:

عرّف التعايش بأنّه: ((العيش، فقالوا: وعاشوا على الألفة والموّدة، وعاشه تعني: عاش معه، والعيش معناه الحياة أو ما تكون به الحياة من المطعم و المشرب و الدّخل)). والتعايش: المعاشة. يقول عاش معه كقوله عاشره، والغالب في التعايش أن يكون ألفة وموّدة، ومنه التعايش السّلمي، وعاشه: عاش معه)).<sup>1</sup>

وأما في معجم اللغة العربية المعاصرة: تعايش يتعايش، تعايشاً، فهو مُتعايش وتعايش الجيرانُ عاشوا على الموّدة والعطاء وحسن الجوار، وتعايشت الدولتان تعايشاً سلمياً اتفقتا بينهما على عدم الاعتداء، وتعايش النَّاسُ: وُجدوا في نفس الزّمان والمكان<sup>2</sup>. وقد ورد في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية تعريف للتعايش على أنّه: " معيشة جماعات مع بعضها البعض أو في نفس الوقت"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> مازن خلف ناصر الشمري، "الحق في التعايش السلي بين المذاهب و الأديان من منظور القانون الجنائي"، Route Educational &Social Science journal، الجزء 6(2) (كانون الثاني 2019)، ص 6-7.

<sup>2</sup> معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، 2008، مادة عَيْشٌ، ص 2467.

<sup>3</sup> عبير سهام مهدي، "مفهوم التعايش السلي و دوره في تحقيق الوحدة الوطنية: العراق نموذجاً"، مجلة حولية المنتدى، الجزء الأول، 2011، ص 174.

من مجمل هذه التعريفات اللغوية السابقة يبين أننا أمام مفردة/فعل ومشتقاتها اللغوية تتسم بالغموض الشديد، وحتى في استخداماتها في المجالين الاجتماعي والسياسي، تشير إلى العمومية والسيولة وعدم الانضباط الدلالي<sup>4</sup>.

أما الترجمة الانكليزية لمفردة التعايش coexistence فقد عُرِّفت وفقاً لقاموس Cambridge<sup>5</sup> بأنها العيش أو التواجد معاً في نفس المكان والزمان، وكذلك وفقاً لقاموس Longman Dictionary of Contemporary English<sup>6</sup> فإنّ التعايش coexistence يكون بين شيئين مختلفين يشتركان بالمكان ذاته أو الزمان ذاته.

نلاحظ أنّ التعريفات اللغوية جميعها أشارت إلى اشتراك الأطراف المتعايشة بالمكان والزمان فهذا يقتضي اشتراكها بالموارد المتوفرة، والتي قد ينظر إليها على أنّها الثروات الطبيعية المتوفرة. كما تقتضي التعريفات الاستمرارية في الحياة ويُفهم منها أنّ التعايش فعلٌ يتم بين الناس على اختلاف مشاربهم، ويقوم على حقيقة عدم وجود مجتمعات صافية من لونٍ واحد.

أمّا اصطلاحاً فقد استُعيّر هذا المفهوم من مجال العلاقات الدولية في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وهو مفهوم التعايش السلمي الذي كان جزءاً من مصطلحات ما بعد الحرب، من مبادرة تقدّم بها خروتشوف عام 1956م في محاولة للقفز على التباينات الإيديولوجية والتناقضات بين الكتلة السوفيتية والكتلة الرأسمالية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية<sup>7</sup>، وهذا على الصعيد السياسي.

وعلى الصعيد الاقتصادي يُستخدم مصطلح التعايش للدلالة على استقرار العلاقات بين الحكومات فيما يخص المسائل القانونية والاقتصادية والتجارية، بينما يراد بهذا المصطلح على

<sup>4</sup> نبيل عبد الفتاح، "أطر مؤسسية: السعي لبناء ثقافة التعايش المشترك"، المركز العربي للبحوث والدراسات، الأحد 12 يونيو 2016، يُمكن الاطلاع على الدراسة عبر الموقع التالي: <http://www.acrseg.org/40233>، تاريخ زيارة الموقع: 2020/2/2.

<sup>5</sup> Cambridge Online dictionary, Cambridge University Press 2020, "coexistence", URL= <https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/coexistence>, last visit: 20/2/2020

<sup>6</sup> Longman Dictionary for Contemporary English, Pearson, May 2018, "coexist", URL= <https://www.ldoceonline.com/about.html>, last visit: 20/2/2020.

<sup>7</sup> نبيل عبد الفتاح، "أطر مؤسسية: السعي لبناء ثقافة التعايش المشترك"، مرجع سابق.



الصّعيد الدّيني والثّقافي والحضاري التّقاء إرادة أهل الأديان السّماوية والحضارات المختلفة حتّى يسود الأمن والسّلام في العالم<sup>8</sup>.

وقد يتّجه هذا التّعايش بين الجماعات نحو الانصهار fusion أو الاندماج Integration بحيث يزول بعضها ويذوب في البعض الآخر، أو تحافظ على التّفرقة العنصريّة بحيث تقيم من عاداتها وقوانينها ونظمها حواجز فاصلة بين بعضها البعض<sup>9</sup>.

ذكرت إحدى الدّراسات الصّادرة عن مؤسّسة Berghof\* أنّ للتّعايش أشكالاً مختلفة، فعندما يتمّ التّعبير عنه بأنّه انصهار Fusion، أو امتزاج Blending فهي إشارة إلى تركيبات متشابهة من التّعايش المُهَجَّن، بمعنى أنّ هنالك تعايش بين فئات مختلفة لكنّها متماثلة similar وفقاً للدّراسة يودّي إلى تهجينها أي امتزاجها لخلق فئات جديدة. أمّا عندما يتمّ الحديث عن فرض الخيار المشترك co-option أو استخدام الأشخاص لتحقيق غايات وخدمة أيديولوجيات معيّنة Instrumentalization فهو نوع من العيش القائم على فرض القوّة على الآخرين<sup>10</sup>، يمكن أن نطلق عليه تعايشاً إذا اعتمدنا التّعريف الإنكليزيّ لمصطلح التّعايش coexistence، أمّا في اللّغة العربيّة فالغالب أن يكون التّعايش كما جاء في تعريفه مبنياً على الألفة والمودّة.

وتوضّح الدّراسة السّابقة أن هنالك طيفاً واسعاً من أشكال التّعايش: بعضها قائم على التّناغم والانسجام بين الأطراف المتعايشة ومنها التّعاون البناء، وبعضها قائم على التّناقض والعداء للآخر ومنها عدم المساواة، أو فرض القوّة أو الضّغط على الآخر.

إنّ السّمة الرّئيسة في تعريف كلمة التّعايش هو علاقتها بكلمة "الآخرين" والاعتراف بأنّ "الآخرين" موجودون، وأنّ التّعايش يعنى التّعلم للعيش المشترك، والقبول بالتّنوع، بما يضمن وجود علاقة إيجابية مع الآخر<sup>11</sup>. إذاً فالتّعايش يقتضي الاعتراف بوجود الاختلاف، وبحقّ الاختلاف دون عصبية أو تطرّف. وقد ورد في الإعلان العالميّ للتّنوع الثّقافي الصّادر عن اليونسكو

<sup>8</sup> عبير سهام مهدي، "مفهوم التعايش السلمي و دوره في تحقيق الوحدة الوطنية: العراق نموذجاً"، مرجع سابق، ص 173-174.

<sup>9</sup> المرجع السابق، ص 174.

<sup>10</sup> Janel B. Galavenek & Katrin Planta, "Peaceful Coexistence? 'Traditional' and 'Non-traditional' Conflict Resolution Mechanisms",

Berghof Foundation, 06/03/2017, p 41.

<sup>11</sup> نبيل عبد الفتاح، "أطر مؤسسية: السعي لبناء ثقافة التعايش المشترك"، مرجع سابق.

والمعتمد في عام 2001م في المادة رقم 1: "... التنوع الثقافي بوصفه مصدراً للتبادل والتجديد والإبداع هو ضروري للجنس البشري ضرورة التنوع البيولوجي بالنسبة للكائنات الحية".<sup>12</sup>

فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن يشترك الجميع بنفس المعتقد أو الأفكار أو القيم الثقافية أو الآراء، ويصبح المجتمع ذا نمط واحد لا وجود فيه للتنوع أو التباين والاختلاف، إذ لا قيمة لمجتمع يسود فيه رأي واحد وفكر واحد، فهذا يقصي حرية الاختيار في الأذواق أو التمايز في القدرات بين الأفراد. ما ينفي فطرة التنافس، التي تعتبر من أهم المحفزات على الخلق والإبداع، وبالتالي يعيش المجتمع حالة ركود وهذا أمر غير واقعي.<sup>13</sup>

إلا أن هذا الاختلاف يتم في إطار الوحدة ولا يتنافى معها، والدعوة إلى التعددية المبنية على التنوع لا تعني التحريض على الانفصال والتشردم إنما احترام الاختلاف في نطاق وحدة الأهداف الكبرى التي تحقق مصلحة المجتمع، لأن التعددية كما يرى د. عادل عامر في دراسة منشورة له: "هي تنوع قائم على تميز وخصوصية، فهي لا يمكن أن توجد إلا بالمقارنة بالوحدة وضمن إطارها، فلا يمكن إطلاق التعددية على التشردم والقطيعة التي لا جامع لأحاديها، ولا على الأحادية التي لا أجزاء لها"<sup>14</sup>.

ويرى الكاتب عبد الله الجسسي أن النظرة الإنسانية هي من مكونات مصطلح التعايش، أي: "أن يؤمن جميع البشر بأنهم متساوون في الحقوق والكرامة الإنسانية، ولا يوجد هناك تمييز بين الأفراد لأي سبب كان؛ سواء أكان عرقياً أو ثقافياً أو دينياً أو باللون وغير ذلك. فالإنسان هو الإنسان في أي بقعة من العالم، ويتساوى مع غيره من الناس في كل شيء، وهذا الفهم للإنسان هو ما يدفع بالإيمان في العيش المشترك مع الآخرين واحترام أفكارهم ومعتقداتهم والبحث عما هو مشترك بينهم، وهذا الأمر يقود إلى الإيمان بالتعددية والحق في الاختلاف".<sup>15</sup>

## ثانياً: التعايش و التسامح بين الترادف و الاختلاف:

<sup>12</sup> "إعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي"، المؤتمر العام لليونسكو، الدورة الحادية و الثلاثين، باريس 2نوفمبر/ تشرين الثاني/ 2001، المادة 1.  
<sup>13</sup> عبد الله الجسسي، "التعايش يقتضي الإقرار بحق الاختلاف و تحقيق الوحدة في ظل التنوع و التعددية"، مجلة تعايش الإلكترونية، تاريخ النشر: 25/ ديسمبر/ 2019، يُمكن الاطلاع على المقال عبر الرابط التالي: <https://peacems.com/taayosh/articles/humanitarian-participants/hp-a02-aj>، تاريخ زيارة الموقع 2020/1/19.

<sup>14</sup> عادل عامر، "دور الأمن الإنساني في تحقيق التعايش السلمي"، صحيفة دنيا الوطن الإلكترونية، تاريخ النشر: 2018/10/20، يُمكن الاطلاع على المقال عبر الرابط التالي: <https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/475729.html>، تاريخ زيارة الموقع: 2020/1/15.

<sup>15</sup> عبد الله الجسسي، "التعايش يقتضي الإقرار بحق الاختلاف و تحقيق الوحدة في ظل التنوع و التعددية"، مرجع سابق.

كثيراً ما يتم الربط بين مفهومي التعايش والتسامح في الدراسات الاجتماعية والسياسية، فينظر البعض إليهما كمفردتين مترادفتين، فيما يرى البعض أنّ التسامح نموذجٌ من نماذج التعايش أو ثمرة من ثمراته، ويرى باحثون آخرون أنّ التسامح هو السبيل الوحيد إلى التعايش السلمي القائم على المساواة في الحقوق. فمثلاً، ذكرت إحدى الدراسات المنشورة في مجلة آفاق أنّ: "فلسفة التعايش ليست وليدة فكر راهنيّ فحسب بل لها جذورها العميقة في الحضارات الأولى، لقد عرفت الحضارات القديمة أنواعاً مختلفة من نماذج التعايش كالتسامح وهو مفهوم قائم على الاعتراف بالآخر المختلف من الناحية الدينية والاجتماعية والسياسية والقبول به والتعايش معه سلمياً"<sup>16</sup>. ويكمل الباحث بأنّ التعايش الذي كان سائداً في الحضارة البابلية كان تسامحاً سياسياً إيجابياً داخلياً مع المرأة ومع العبيد فأعطاهم حقوقهم. وهنا استخدم الكاتب المصطلحين استخداماً مترادفاً، ووفقاً لما ذكره فالتعايش هنا غير متكافئ الطرفين وهو يمنح إحدى الفئتين امتيازاتٍ وحقوقاً أعلى من الفئة الأخرى.

وعند البحث في الأصل اللغوي لمفردة التسامح في مادة سَمَحَ، جاء في لسان العرب ما يلي: "السَّمَا حُ والسَّمَا حَةٌ: الجُودُ. سَمَحَ سَمَاحَةً وَسُمُوحَةً وَسَمَاحاً: جَادَ؛ وَرَجَلَ سَمَحٌ وَامْرَأَةٌ سَمُوحَةٌ مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ سَمَاحٍ وَسُمُوحَةٍ فِيهِمَا، يُقَالُ: سَمَحَ وَأَسَمَحَ إِذَا جَادَ وَأَعْطَى عَنْ كَرَمٍ وَسَخَاءٍ؛ وَقِيلَ: إِنَّمَا يُقَالُ فِي السَّخَاءِ سَمَحَ، وَأَمَّا أَسَمَحَ فَإِنَّمَا يُقَالُ فِي الْمَتَابَعَةِ وَالانْقِيَادِ؛ وَيُقَالُ: أَسَمَحَتْ نَفْسُهُ إِذَا انْقَادَتْ، وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ؛ وَسَمَحَ لِي فَلَانَ أَيَّ أَعْطَانِي؛ وَسَمَحَ لِي بِذَلِكَ يَسْمَحُ سَمَاحَةً. وَالْمُسَامَحةُ: الْمُسَاهَلَةُ. وَتَسَامَحُوا: تَسَاهَلُوا."

وفي اللغة الانكليزية فإنّ مصطلح tolerance يعني وفقاً لقاموس<sup>17</sup> Cambridge: القبول، أي قدرة الفرد أو الجماعة على تقبل سلوكيات ومعتقدات الآخر التي تخالف معتقداته/معتقداتها أو التي تبدو غير مقبولة بالنسبة إليه/ليها، ويعني أيضاً القدرة على التعامل مع ما هو مزعج على الرغم من الصعوبات التي يفرضها وجوده.

إذاً فالتسامح مع أمرٍ ما يعني أنّه مخالف للمعايير، أو غير مقبول، ومنه فإنّ التسامح مع الطوائف والأديان الأخرى والفئات الاجتماعية الأخرى ضمن المجتمع ذاته يعني قبولنا بها وتساؤلنا معها رغم أنّها غير "مقبولة" وهذا يتناقض مع مبدأ المساواة بين الجميع، لأنّ المساواة تقتضي أنّ لكلّ من هذه الجماعات التي تتعايش معاً حقوقاً متساوية يضمنها القانون، ومن غير وجود من يحكم على مقبوليتها.

ويرى هيربرت ماركيز أنّ التسامح هو ضربٌ من ضروب الخداع الذي تستخدمه الأنظمة الديمقراطية لتعزيز سيطرتها على الجموع، فعندما يُسمح للأقليات بالتعبير عن رأيها فالغاية من

<sup>16</sup> بلعز كريمة، " فلسفة التعايش و دورها في التنوع الثقافي"، مجلة آفاق علمية، المجلد 11، العدد 3، 2019/06/15، ص 600  
<sup>17</sup> "Tolerance", Cambridge Online dictionary، مرجع سابق.

هذا التسامح هو التأكيد أنّ رأيها هذا ليس له أيّ تأثير فعّال، وهذا يسمح للأغلبية بالتحكّم بهذه الآراء وقولبتها على نحو يجعل أصحابها عاجزين عن رؤية الانتقادات الجذريّة لها، كما يكمل بأنّ الظروف التي تجعل من التسامح قوّة محرّرة ما تزال غير موجودة<sup>18</sup>.

إنّ التسامح هو قيمة أخلاقيّة نقيضة للتعصب قد تساعد على جعل نموذج التعايش في المجتمع نموذجاً إيجابياً يستفيد منه الجميع، وبما أنّها كأيّ ادّعاء أخلاقيّ قيمة نسبيّة<sup>19</sup> يحكمها تقدير الفرد فلا يمكن التّعويل عليها في عمليّة البناء المجتمعيّ ولا حتّى استخدامها في الخطاب القانونيّ والسّياسيّ. إذاً فمن المقبول أن يسود التسامح كخلق نبيل بين أفراد المجتمع وفي علاقاتهم الاجتماعيّة وتعاملاتهم اليوميّة، أمّا من منظور الحقّ والواجب، فإنّ استخدام هذا المصطلح يعطي للبعض أحقيّة على غيرهم ودرجة أعلى في المواطنة. فالسّامح مفهوم دينيّ أمّا التعايش مفهوم اجتماعيّ وفي البلاد التي تتبنّى العلمانيّة يجب أن تسود ثقافة التعايش وألاّ تُبنى علاقات الأفراد على أساس التنازل والتساهل.

يرى محمد منصور في مقال منشور له أنّ: " التّحدي المائل أمامنا يكمن في كيفية تطبيق هذه المفاهيم الكونية في مجتمعات دينية متعصبة لا تقبل التعددية أو في دول تقبل تعدد الأديان ولكن يشكل الدين السائد فيها المرجعية لكل القوانين والتشريعات"<sup>20</sup>.

بالإضافة إلى ما سبق، فإنّ مصطلح التعايش ظهر تاريخياً بين ندّين خلال الحرب الباردة هما الاتّحاد السوفيتيّ سابقاً والولايات المتّحدة الأمريكيّة، أما التسامح فقد ظهر من الفئات الحاكمة ذات الصّفة الدّينيّة والتي تشكل الأغلبية تجاه الأقليات الخارجة عن هذا الدّين والفئات المستضعفة.

إذاً وبناء على ما سبق، فإنّ ضبابيّة مفهوم التعايش والخلط بينه وبين مفهوم التسامح، في التعريف والاصطلاح والتّطبيق أسست لسلبيّة المفهوم لدى البعض. وعليه وبتأصيل كلا المصطلحين تاريخياً فإنّ التسامح قد يعتبر نسقاً في المجتمعات الأهلّيّة والتي يطغى عليها الطّابع الدّيني والأبوي وهو مفهوم يُفرض بشكل هرميّ من رأس القمّة إلى قاعدتها، أمّا التعايش فهو ثقافة المجتمعات المدنيّة التي يعتبر فيها الجميع متساويي الحقوق والواجبات وعلى مرتبة واحدة وهو إجماعٌ مبنيّ بشكل أفقيّ على أنّ الاشتراك بالموطن والموارد والمصير يفرض أن يعيش الجميع بمودّة واحترام متبادل وعلى مسافة واحدة من القانون.

<sup>18</sup> محمد ياسر الخواجة، " المجتمع المدني و تنمية رأس المال الاجتماعي"، نيوبوك للنشر و التوزيع، 2018، ص 77.

<sup>19</sup> المرجع السابق، ص 71.

<sup>20</sup> محمد منصور، "من التسامح إلى التعايش"، جريدة هسبريس الإلكترونيّة، 7/ يناير/ 2016، يُمكن مراجعة المقال عبر الرّابط التالي: <https://www.hespress.com/opinions/290371.html>، تاريخ زيارة الموقع: 2020/2/12.

ولتطوير هذا المفهوم سنقوم بدراسة التّعايش في المجتمعات البيولوجيّة وإجراء عمليّة مشابهة بينها وبين التّعايش في المجتمعات الإنسانيّة لاستنباط آليّات جديدة تساعد على تطير المفهوم وتطوير نماذجه.

**المبحث الثّاني: دراسة التّشابه الجزئيّ بين التّعايش في المجتمع البيولوجيّ الخلويّ في العضويّة الحيّة و التّعايش في المجتمع الإنسانيّ:**

إنّ فكرة التشابه بين المجتمع والعضوية الحيّة في عدد من النّواحي فكرة قديمة، إذ يمثّل المجتمع نظاماً حياً له خلاياه ونظمه الاستقلابية الخاصّة به<sup>21</sup>. ويرى البعض بأنّه يمكننا الاستفادة من دراسة التّعايش في المجتمعات البيولوجية لفهم وتطوير نماذج التّعايش في المجتمعات المحليّة، ولقد خضنا في هذا المبحث في مظاهر التّشابه بين المجتمعين المذكورين وصولاً إلى بعض الاستنتاجات التي قد تساعد في دراسة التّعايش المجتمعيّ.

### أولاً: الأساس النظري لعملية المشابهة الجزئية:

في هذه الاستعارة من العلوم الطبيعيّة، تشبّه فئات المجتمع المختلفة بأعضاء الكائن الحيّ التي يؤدّي كلّ منها وظائفه ويتفاعل مع الأعضاء الأخرى لضمان بقاء هذا الكائن حياً، فالى حدّ ما تشبّه أنظمة الدفاع والأنظمة العسكريّة في المجتمع بالجهاز المناعيّ الذي يحمي العضوية من أي خطر دخيل، كما تُشبّه الحكومات بالدماغ الذي يسيطر على العمليّات الحيويّة ككلّ ويتخذ القرارات، وهذه الفكرة يُمكن تتبّعها تاريخياً وصولاً إلى أرسطو الذي ألهم كبار الآباء المؤسّسين لعلم الاجتماع مثل Comte و Durkheim و Spencer<sup>22</sup> بشكل خاصّ.

إذ يعتقد سبنسر أنّ المجتمع كائنٌ عضويّ له أعضاءٌ للتّغذية، وله دورةٌ دمويّة، وفيه يتمّ التّعاون بين الأعضاء المختلفة، كما أنّ له تناسلاً وإفرازاً تماماً مثل الأفراد، فالمجتمع عنده ينمو، وكلّما ازداد نمواً اشتدّ تعقيداً، وقد تحدّث في كتابه " The social organism " عن أنّ كلّاً من المجتمع والعضوية الحيّة الذين يعتبران متشابهين جزئياً -وفقاً له- تزداد كتلته ببطء ويزداد تركيبه تعقيداً، وفي الوقت نفسه ومع ازدياد تعقيدهما تصبح أعضاؤهما أكثر اعتماداً على بعضها البعض وأكثر تبادليّة more mutually dependent<sup>23</sup>.

Francis Heylighen, " *The Global Superorganism: an evolutionary-cybernetic model of the emerging network society*", submitted to: <sup>21</sup> journal of social and evolutionary systems, 2007, p 1, URL= <https://www.semanticscholar.org/paper/The-Global-Superorganism%3A-An-Model-of-the-Emerging-Heylighen/b4129236c8837e771540a1d7fb6fdb970682387a> , last visit: 2/2/2020

<sup>22</sup> المرجع السابق، ص 1.

Robert S. Cohen, " *The Natural Sciences and the Social Sciences: Some Critical and Historical Perspectives*", Springer Netherlands, <sup>23</sup> Edition number 1, Chapter 8, 1994, (pp.275-303).

وسنقوم بإجراء مشابهة جزئية Analogy argument بين التعايش في العضوية الحية كمجتمع بيولوجي biological community والتعايش في المجتمع البشري social community بافتراض وجود تشابه بين كلا المجتمعين ستنم مناقشته، ثم الانتقال إلى النتائج.

تُعرّف المشابهة الجزئية أو التناظر Analogy بأنها عملية مقارنة بين شيئين أو كائنين two objects أو نظامين two system of objects تتم من خلالها الإضاءة على النقاط والملاح المتشابهة بينهما، فيما يُعرّف مصطلح التفكير التناظري Analogical reasoning بأنه أي نوع من التفكير القائم على المشابهة الجزئية. ويُعرّف الجد التناظري analogical argument بأنه تمثيل صريح لشكل من أشكال التفكير المنطقي يشير إلى أوجه التشابه المقبولة بين نظامين ويبني عليها استنتاجاً بوجود المزيد من التشابه بينهما<sup>24</sup>. ولا تعتبر هذه الافتراضات مؤكدة لكنها تتفاوت في درجة قوتها واعتماديتها، و تكون موضوعاً للجدل الأكاديمي ولمزيد من الأبحاث الأخرى.

ويكون للجدل التناظري الصيغة التالية<sup>25</sup>:

- 1- إن النظام أو المجال S يشابه النظام أو المجال T بنواح معينة مؤكدة أو معروفة.
- 2- يتمتع النظام أو المجال S ببعض المواصفات الإضافية Q.
- 3- لذا، فإن النظام أو المجال T إما أن يتمتع أيضاً بالمواصفات Q، أو أن له مواصفات Q\* شبيهة بالمواصفات Q.

في الصيغة السابقة تُعتبر (1) و (2) المقدمات المنطقية للجدل، فيما تُعتبر (3) نتيجة أو استنتاجاً مبنياً عليهما.

نفترض أن S هو المجال مصدر الجد Source Domain، و T هو المجال هدف الجد Target Domain، ونقصد بالمجال Domain: مجموعة من الأشياء، الخصائص، العلاقات، والوظائف وما يتعلق بها من افتراضات ومعلومات مقبولة.

وفي بحثنا هذا فإننا نفترض بأن العضوية الحية (المجتمع البيولوجي) بمكوناتها من الخلايا الحية والجزئيات العضوية ونظم الإشارة والعمليات الحيوية التي تحدث ضمنها وفيما بينها تشكل المجال S، والمجتمع (المجتمع البشري المحلي) بمكوناته المختلفة إيديولوجياً والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية القائمة بينها، ونظمه القانونية يشكل المجال T.

<sup>24</sup> Bartha Paul, "Analogy and Analogical Reasoning", The Stanford Encyclopedia of Philosophy, (Spring 2010 Edition), Edward N. Zalta (ed.), First published Tue Jun 25, 2013; substantive revision Fri Jan 25, 2019, URL = <https://plato.stanford.edu/archives/spr2019/entries/reasoning-analogy>, last visit: 2/1/2020.

<sup>25</sup> المرجع السابق.

يمكن توضيح التشابه بين المجتمعين البيولوجي المتمثل بالعضوية الحية والبشري المتمثل بأي مجتمع محلي بمقارنة الوظائف التي تؤدي في كل منهما على النحو التالي<sup>26</sup>:

### 1- الخصائص العامة:

المجتمع	العضوية الحية	الوظيفة
البشر	الخلايا	الوحدات Units
قطاعات العمل المختلفة	النسج المختلفة المتميزة	التمايز Differentiation
المنظمات	الأعضاء	النظم الفرعية Subsystems
الجدران، الأغشية	الجلد	الحدود Boundary
الجيش، الشرطة	الجهاز المناعي	الدفاعات Defenses

### 2- العمليات الأيضية: معالجة المادة-الطاقة<sup>27</sup>:

المجتمع	العضوية الحية	الوظيفة
التعددين، الحصاد، الضخ	الأكل، الشرب، الاستنشاق	الابتلاع/الحصول على الوارد المطلوب Ingestion
المصافي و المعالجات	الجهاز الهضمي، الرئتان	التحويل Conversion
شبكات النقل	جهاز الدوران	التوزيع Distribution
المصانع و المعامل	الخلايا الجذعية	الإنتاج Production
شبكات المجاري، عمليات التخلص من النفايات، المداخن	الإفراز البولي، التغوط، الزفير	الإطراح extruder
المستودعات و حاويات التخزين	الخلايا الدهنية، العظام	التخزين Storage
المباني، الجسور	الهيكل العظمي	الدعم Support
المحركات، البشر، الحيوانات	العضلات	المحرك Motor

### 3- الجهاز العصبي: معالجة المعلومات<sup>28</sup>:

<sup>26</sup> Francis Heylighen, "Towards a Global Brain: Integrating Individuals Into The World-Wide Electronic Network", in: Der sinn der Sinne, Uta Brandes & Claudia Neumann (Ed.), (Steidl Verlag, Göttingen) [in press], 1997, URL=<http://pespmc1.vub.ac.be/Papers/GBrain-Bonn.html>, last visit: 18/01/2020.

<sup>27</sup> Francis Heylighen, "Towards a Global Brain: Integrating Individuals Into The World-Wide Electronic Network", مرجع سابق.



الوظيفة	العضوية الحية	المجتمع
أعضاء الحسّ Sensors	الحواس الخمسة	الباحثون، المرسلون
أعضاء الفكّ Decoder	الإدراك	الخبراء، السياسيون، الرأي العام
القنوات و الشبكات Channels and net	الأعصاب، الخلايا العصبية	وسائل التواصل، الإعلام
الرباط المساعد Associator	الرباط المشبكي	الاكتشافات العلمية، التعلم الاجتماعي
الذاكرة Memory	الذاكرة العصبية	المكتبات، المعرفة التجمعية
صاحب القرار Decider	الوظائف الدماغية العليا	الحكومة، السّوق، المنتخِبون
المؤثر Effector	الأعصاب المنشطة "المحفزة" للعضلات	المدراء التنفيذيون

#### ثانياً: نتائج المشابهة الجزئية و التوصيات:

أخذ علماء السياسة مفهوم النظام من العلوم الطبيعّية، وقد عزّف العلماء العاملون في مجال العلوم الطبيعّية النظام على أنّه وحدتان أو أكثر بينها علاقات يؤثّر بعضها ببعض وينتج عن هذه العلاقات شكل من المخرجات. وبناء عليه: عزّف النظام الدولي بأنّه وحدتان أو أكثر بينهما علاقات مستمرة تتصّف بالديمومة، ويؤثّر كل منهما بالآخر<sup>29</sup>. وهذا التعريف يمكن إسقاطه أيضاً على النظام الاجتماعي الذي يمكن توصيفه بأنّه مجموعة وحداتٍ مختلفة تتفاعل مع بعضها البعض وتؤثّر وتتأثّر بمخرجات هذا التفاعل، وقد عزّفنا هذا التفاعل بأنّه عملية التّعايش.

إنّ كلا المجتمعين المذكورين (البيولوجي والبشري) يشكّل نظاماً له علاقات تبادليّة مع محيطه وهذه العلاقات جميعها تدرج في إطار التّعايش بأشكاله المختلفة، فالخلية في الجسم البشري لا تستطيع العيش معزولةً عن غيرها من الخلايا باختلاف أنواعها، لأنّها تستمدّ من محيطها الخلويّ الغذاء والأوكسجين، كما تستلم الإشارات العصبية اللازمة لقيامها بوظائفها

<sup>28</sup> المرجع السابق.

<sup>29</sup> خالد موسى المصري، "نظريات العلاقات الدولية"، 2018، SPR Agency و الأكاديمية السورية للتدريب و التطوير، ط 1، ص 16.

الحيوية وتفرز إلى محيطها فضلاتها والسّموم الناتجة عنها، وبشكلٍ أدقّ : فإنّ حياة الخلية ووظائفها الحيوية تحتمّ عليها القيام بالتّواصل الخلويّ سواءً مع مجاوراتها أو مع بنى خلوية أخرى في الجسم. وانعزال الخلية يؤدي إلى تموتها، فمثلاً انقطاع التّروية الدّموية عن أيّ من الأعضاء يسبّب تموت العضو وقد يؤدي إلى بتره.

وكذلك المجتمع البشريّ فهو نظامٌ يتألف من طيف واسع من الأعراق والأجناس والطوائف والجماعات التي لا تستطيع العيش بمفردها كالخلايا، ويتحتمّ عليها أن تتواصل مع محيطها لأداء وظائفها الاجتماعيّة والمدنيّة وممارسة نشاطاتها، إلّا أنّها قد تنعزل على نفسها وتتغلق على أفرادها فتحرم نفسها من التطور الطبيعيّ. وبالتالي فإنّ التّعايش ليس خياراً لمن يتشاركون الموطن ذاته، إنّما هو أمر مفروض و الخيار يكمن في نوعيّة العلاقات فيما بين الأطراف المختلفة.

وهنا يمكننا التّمييز بين الانغلاق على الذات والانغلاق على الإيديولوجيا، فمثلاً يحتفظ متديّنو الأديان الباطنيّة لأنفسهم بكتبهم المقدّسة وشرائعهم ومعتقداتهم ويمنعونها على غيرهم، إلّا أنّهم يمارسون أدوارهم الاجتماعيّة ويتواصلون مع محيطهم الاجتماعيّ، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا : إلى أيّ حدّ يؤثر الانغلاق على الإيديولوجيا في عمليّة التّعايش الاجتماعيّ؟

يرى د. برهان غليون في مقالته "الثقافة منبع الحرية" أنه: " ليس هناك ثقافة جامدة لا تسمح بالتّغيير والتّجدد، اللّهم إلا عندما تكون الثّقافة قد ماتت فعلاً، كما هو حال الثّقافة الفرعونيّة أو البابليّة أو الحميريّة. ولا تموت الثّقافة إلا عندما تموت النّظم الاجتماعيّة التي عاشت في كنفها وكونت محور إلهامها وساحة تفكيرها ورهاناتها المادية والروحية. في ما عدا ذلك، يمكن للثقافة أن تتراجع وتتكلس وتنقطع عن الواقع الذي هو واقع حيّ ومتغير بالضرورة، وتتغلق على نفسها وتدور حول تقاليدها وقيمها وذكرياتها القديمة. وفي مثل هذه الأحوال التي تفقد فيها الثقافة دورها، وتترك لقانوني القوة والعصبية أمر التحكم بالأفراد وضمان خضوعهم وتعاونهم وانتظامهم، كما حصل خلال "حقبة الانحطاط" في التاريخ العربي، لا تموت الثقافة نهائياً ولا تخمد جذوتها. إنّما تنضب ينابيع الإبداع فيها، جازة معها المجتمع بأكمله نحو الانحطاط والإفقار."<sup>30</sup>

<sup>30</sup> برهان غليون، "الثقافة كمنبع للحرية"، صحيفة الاتحاد، 1/ديسمبر/2010، يُمكن مراجعة المقال عبر الرابط التالي: <https://www.alittihad.ae/wejhatarticle/56176> ، تاريخ زيارة الموقع: 2019/12/15.

وانطلاقاً من التشابه السابق بين النظامين السابقين، وباعتبار أنّ كلّ منهما يشكّل نظاماً يخضع لقوانين الفيزياء والثرموديناميك\* واعتماداً على قانون الانحفاظ الطّاقويّ والذي يعني أنّ الطّاقة لا تفنى ولا تُخلَق من عدم بل تتحوّل من شكل إلى آخر دون زيادة أو نقصان:

يمكن للباحث أن يفترض أن أيّة جماعة إنسانيّة معزولة ومنغلقة على نفسها تماماً (بشكل نظام مغلق) لا يؤمّل منها أن تقدّم أي جديد إلى الحضارة الإنسانيّة وإلى المجتمع الذي تنتمي إليه باعتبارها نظاماً معزولاً لا يتجدّد.

وكذلك أنّ أيّ تغيير يحدث في مجتمع ما، على مستوى الإيديولوجيات لا يمكن أن يخلق من لا شيء (من عدم)، فله مقدماته ودوافعه، ولاشكّ أنّه لم يتشكّل دون عمليّات تبادلٍ مع الوسط المحيط أو مع نظم فكريّة أخرى، كما يمكننا اعتبار التّغيير الاجتماعيّ والإيديولوجيّ تجديداً طبيعياً للمجتمع نظراً لتفاعله مع مجتمعاتٍ أخرى.

و لتوضيح مسألة التّغيير، وبالعودة إلى المجال مصدر الدّراسة S ، فإنه يُمكننا التّعبير عن أي نمطٍ ظاهريّ سليم أو خبيث في العضويّة الحيّة وفقاً للمعادلة التّالية:

$$\text{Phenotype} = \text{Genotype} + \text{Environment}$$

أي أنّ الشكّل الظّاهري للعضويّة ينتج من تفاعل الشيفرة الوراثيّة التي تشكّل الأساس الجينيّ مع البيئة أو مع الوسط المحيط الذي قد يؤثّر على عملية التّعبير عن الجينات أو يحفّز ظهور حالة صحيّة ما. وكذلك فإنّ الطّفرات السرطانيّة في الجسم تنتج من تفاعل هذين المكوّنين. علماً أنّ العمل على المستوى الجينيّ في العضويّة الحيّة لتغيير صفة ظاهريّة ما لا يتمّ خلال جيلٍ واحد من الأبناء لذا فهو ليس تغييراً آنياً لحظياً، إنّما يتمّ وفقاً لقوانين الوراثة الماندليّة عبر التّزاوج المقصود بين جنسين يحملان صفاتٍ معيّنة، لإظهار صفةٍ ما.

فإذا عكسنا ما سبق على المجتمع البشريّ نلاحظ أنّ أيّ موجةٍ أو ظاهرةٍ مجتمعيّة تظهر في توقيت معيّن لها أسسها الفكريّة أي أنّها مبنية على إيديولوجيا أو تيار فكريّ معيّن، و ظهرت بتحفيّز من الوسط المحيط الذي "يشعل فتيلها" ويدفع لظهورها في مكان وزمان معيّنين. وهذا

---

\*الثرموديناميك: فرع من فروع الفيزياء التي تدرس العلاقة بين الحرارة وأشكال أخرى من الطاقة. وتصف، بشكل خاص، كيفية تحول الطاقة الحرارية من وإلى أشكال أخرى من الطاقة وكيفية تأثيرها على المادة.

يقتضي أن تعديل الطّرف الأوّل من المعادلة أي الظّاهرة والتّأثير عليها يقتضي التلاعب بالإيديولوجيا أو ضبط التّأثيرات من الوسط المحيط.

وبناءً عليه فإنّ التّغيير المجتمعيّ المأمول يُمكن العمل عليه وفقاً لما يلي:

1- التّغيير على مستوى الإيديولوجيا: تغيير بطيء، ويحتاج إلى إعادة بناء المعتقدات ومنظومة القيم والأخلاق خلال عدّة أجيال، ويمكن العمل عليه عند دراسة القيم المرغوبة مجتمعياً و التي يتمّ تعزيزها عبر التّزاوج بين الفئات المختلفة أي إدماج الفئات الحاملة لهذه القيم في المحيط غير الحامل لها، والقيم غير المرغوبة التي يمكن استئصالها بعزلها ومنع انتقالها عبر عدّة أجيال متلاحقة على المبدأ الماندلي. وهكذا يتمّ تعميم وتعزيز نماذج التّعايش الإيجابي واستئصال البؤر غير المتعايشة، التي قد تتطوّر إلى بؤر تطرّف وحواضن للإرهاب فيما بعد.

ويجب الانتباه إلى كون الصّفة المرغوبة " سائدة أو متحيّية مجتمعياً"، أي إلى كونها سريعة التّقبل والانتشار أو صعبة التّقبل، وهذا يعتمد على طبيعة المجتمع، وتساعد دراسة العرف الاجتماعيّ والدّراسات الاجتماعية عموماً على تحديد فيما إذا كانت الصّفة المرغوبة أقرب إلى أن تسود وتُقبل مجتمعياً أو تتنحّى وتُرفض، وعلى نقيض ما يسري على العضويّة الحيّة نفترض أنّ قابلية القبول و الرفض يُمكن تعديلها بالتّدرّج.

2- التّغيير على مستوى البيئة أو الوسط المحيط: يتمّ عبر حسن إدارة الأزمات والدّراسات الاستقصائيّة.

من المثبت أنّ تأثيرات البيئة المحيطة قد تزرع المجتمع وتنتشر الفوضى فيه إذا كان مؤهّباً لها وخصوصاً مع تأثير العولمة، إلّا أنّ تأثير ذات الحدث العالميّ على مجتمعات مختلفة يتفاوت تبعاً لأسباب ذاتيّة خاصّة بطبيعة كلّ مجتمع وبشكل خاصّ يتبع لمدى تماسك البنية المجتمعيّة ووضوح الرّؤية العامّة.

إنّ التّحدي الأكبر في عصر تسود فيه الفوضى والتّيارات الرّاديكاليّة والانفصاليّة يكمن في تقليص تأثير المحيط على المجتمع بتعزيز بنيته الداخليّة. ويمكن الاستفادة من النّمودج البيولوجي، ويوضّح ذلك كما يلي:

يمكن توصيف المجتمع البشريّ على أنّه autopoietic أي ذاتيّ الإنتاج، أو ذاتيّ التّحكم بالإنتاج، إذ أنّه يتألّف من شبكة العضويّات -التي تمثّلها الفئات الاجتماعيّة المختلفة- التي تقوم بمجموعة من العمليّات التي تنتج بصورة متكرّرة مكوّنات المجتمع ذاته. ويمكننا تحديد مكوّنات المجتمع بأنّها العنصر البشريّ وكلّ ما ينتجه ( أبنية، وسائل نقل، طرقات، مؤلّفات... )، فكلّ من هذه المكوّنات يتمّ إنتاجه بتكامل مجموعة من المكوّنات الأخرى.

وبهذا التّوصيف فإنّ المجتمع وحدة متكاملة وذاتيّة autonomous، مسؤولة عن صيانة نفسها وعن نموّها، وأمّا البيئّة المحيطة بهذا المجتمع فهي تشكّل مجرد سبب محتمل للاضطرابات التي تصيب هذه الوظائف الدّاتيّة الداخليّة وتؤثّر عليها. وفي الواقع، يبدو المجتمع هكذا كالخلية الحيّة التي تحتوي مجموعة عضويّات لها وظائفها وتقوم بمجموعة من العمليّات الكيميائيّة التي تسمح لها أن تنتج جزيئاتها بنفسها.

ويحتاج هذا النّظام البشريّ إلى مدخلات input هي المادّة والطّاقة (الموارد) لبناء مكوّناته، كما ينتج مخرجات output المادّة والطّاقة بشكل النّفائيات والحرارة (مادّة + طاقة)، وعلى الرغم من تبادله للمادّة و الطّاقة مع المحيط، فهو نظام مغلق ذاتيّاً، أي أنّ بنيته ونسيجه الاجتماعيّ وأنظمتة يتمّ تحديدها داخليّاً، و دور البيئّة هي أنّ توفر له المواد الخام فقط لكنّها لا تحدّد كميّة تنظيم هذه المواد والاستفادة منها، إنّما لكلّ مجتمع كهذا نظام معرفيّ وإيديولوجيّ خاصّ به يحدّد كميّة تنظيم العمل في شبكاته الداخليّة لإنتاج ذاته - وهذا قد يفسّر لماذا تبني الأزمات مجتمعات متطوّرة حضاريّاً ومتقدّمة علميّاً وتكنولوجياً فيما تدمرّ أزمات مماثلة مجتمعات أخرى وتهوي بها إلى الحضيض - إذاً فالانغلاق يعني أنّ كلّ مكوّن من مكوّنات النّظام المجتمعيّ يتم إنتاجه بواسطة واحد أو أكثر من مكونات نفس النّظام، ولا يوجد مكوّن أو نظام فرعيّ subsystem يُنتج خارجيّاً أو بشكلٍ مستقلّ، فإذا حدث ذلك، فإنّ هذا النّظام الفرعيّ نفسه

سيكّل نظاماً آخر مستقلاً بذاته بدلاً من كونه مكوناً من مكونات المجتمع<sup>31</sup> ، وهكذا يحدث ما يُعرف سياسياً بالانفصال عن الدولة.

إنّ ما يفصل الخلية عن محيطها هو وجود غشاء خلوي membrane انتقائي للمواد التي تدخل الخلية، فهو يحافظ على استقلاليتها بحيث لا تندمج بمحيطاتها، وفي الوقت نفسه يمارس دور الرقابة على الوارد إليها إلى حدّ ما، أي أنّ ما يحمي الخلية هو انفصالها فيزيائياً عن محيطها مع احتفاظها بالتواصل الخلوي المطلوب بالدرجة اللازمة.

وبما أنّ فكرة الانعزال عن البيئة مستحيلة عملياً، كاستحالة حفاظ الخلية على حياتها بعزلها عن محيطها لانعدام الوارد الضّروري لها لبناء ذاتها والقيام بوظائفها، ونظراً لانعدام وجود مثل هذا الفاصل الفيزيائي بين المجتمعات - لأنّ الحدود التي تفصل البلدان عن بعضها لا تشكّل حاجزاً لمرور الوارد الفكري والإيديولوجي- ونظراً لاحتياج المجتمع أيضاً إلى مثل هذا الوارد البشري والفكري -فالمجتمعات عادةً ما تستعين بالأيدي الخبيرة الخارجية لتطوير ذاتها- فإنّ الضامن للحفاظ على استقلالية المجتمع و فرديته ومنع المكونات الفرعية من الانفصال عنه بتأثير ما يدخل إليه هو بتعزيز مناعته الداخليّة وتشكيل وعي جمعيّ، أي بترك المكونات المجتمعية تحارب وتواجه ما هو دخيل فعلاً وكل ما هو مثير للفتنة والاضطراب رغبةً ذاتيةً منها في المحافظة على النسيج الاجتماعيّ وعلى الاستقرار.

وهذا يستدعي:

1- العمل على تحقيق الأمن الاجتماعيّ الذي يحقّق ما تصبو إليه جميع الفئات المكونة

للمجتمع بحيث تغدو حالة الاستقرار المرغوبة هذه دافعاً للجميع لمحاربة ما يزعزعها وهذا يحدث بتعزيز نماذج النعائش الإيجابي واستئصال نماذج النعائش السّلبى.

2- صياغة هوية وطنية شاملة لا تقصي ولا تستبعد أي فئة مجتمعية، بحيث يتمّ التّخلص من

المفاصل الرّخوة التي تستطيع أي ضربة خارجية انتزاعها ودفعها إلى الانفصال أو إلى

التّطرف. وهذه الهوية- كما يراها سعادة- موضوعية مركّبة من وعي الإنسان والجماعة

<sup>31</sup> Francis Heylighen, "The Global Superorganism", مرجع سابق، ص 3-5.

نفسها على أنّ تاريخها وحضارتها، حاضرها ومستقبلها له بوتقة تفاعل واحدة في الحيز الجغرافي المحدد<sup>32</sup>.

وبناء على ما ذكرناه في المبحث السابق فإنّ الهوية الوطنية الشاملة لا يمكن بناؤها عندما تسود ثقافة التسامح لأنها هوية يجب أن تبنى على التساوي في المكانة الاجتماعية وفي الحقوق والواجبات.

إنّ نماذج التعايش التي تحقّق النفع لجميع مكونات المجتمع هي الأصلح لمواجهة أيّ اختراق غير مرغوب له. وفيما يأخذ التعايش في المجتمعات البيولوجية أشكالاً عديدة كالافتراس والتطفل والتنافس والتبادل، يمكن حصر هذه الأشكال ضمن العضوية الحية بعملية التّطاعم commensalism، إذ تتطاعم العديد من البكتريا التي تقطن أجسادنا مع خلايانا الحية فتستفيد البكتريا المعوية من الغذاء الموجود في الأمعاء فيما لا تتأثر نحن بتواجدها. إنّما اتّجهت العديد من الأبحاث لإثبات أنّ هذه العلاقات لا بدّ وأن يتأثر بها كلّ من الطرفين، أي أنّها إمّا أن تتجّه لتصبح علاقة تطفلية parasitic أو تبادلية mutualistic، و إذا عدنا للمثال ذاته، فإنّ العديد من الأبحاث أثبتت أنّ هذه البكتريا المعوية تلعب دوراً أساسياً في الحفاظ على صحّة الجهاز الهضمي، وأنّ غيابها أو اختلال توازنها قد يتسبّب في العديد من الأمراض المناعية والجلدية وغيرها.

وبإسقاط ذلك على المجتمع البشري، فإنّ الشّكل الأمثل للتعايش قائم على التبادلية وهي علاقة تصنّف بأنها (+/+) موجبة الحدين أي تحقّق النفع للجميع، وتقوم على قيام كلّ من الأطراف بواجباتها بالشّكل المطلوب فيما تحصل على حقوقها بالشّكل الكامل، وهو ما تقوم عليه ثقافة الحقّ والواجب في المجتمع.

أمّا الشّكل الأسوأ توصيفاً للتعايش المجتمعيّ فهو التطفل، وهي علاقة تصنّف بأنها (-/+)، أي توجد فئات مستفيدة على حساب فئاتٍ أخرى منقوصة الحقّ، ويمكن أن يفهم عندما يُستخدم مصطلح التسامح للتعبير عن العيش المشترك بأنّ الفئات غير المقبولة متطفلة على المجتمع و لكن يتمّ تقبلها والتساهل مع وجودها وكأنّها دخيلة على النسيج المجتمعي وليست جزءاً منه.

<sup>32</sup> أنيس النقاش، "الكونفدرالية المشرقية: صراع الهويات والسياسات"، بيروت، دار بيسان، ط 2، ديسمبر 2016، ص 252.

وأخيراً فإن للعضوية إجراءات أخرى تحميها عند اختراقها، فهي تستطيع إقصاء الخلايا الشاذة -مثلاً الخلايا التي تتكاثر بشكل غير مضبوط- أو الغريبة عن الجسم- كالتفيليات و العوامل الاخرى الممرضة- ، إذ تقوم ببلعمتها وتشكيل مناعة ضدها لحماية الجسم من أي خطر يهدده. و يكمن الذكاء البيولوجي في وجود آلية حيوية تحاصر الجسم الغريب الممرض ثم تليها آلية حيوية أخرى تقوم "بهضم" الجسم الغريب و تشكيل أضداد له تبقى في الجسم ، بحيث يتم الرد على أي دخول آخر لهذا الجسم الغريب إلى العضوية الحية.

و كذلك الإجراءات الإقصائية في المجتمع الإنساني يجب أن تطبق فقط على البؤر الشاذة والخبيثة التي تشكل خطراً عليه، و التي قد تكون جزءاً منه تماماً كالخلايا الخارجة في تكاثرها عن السيطرة كالبؤر المتطفرة، أو دخيلةً عليه، و بعملية تحاكي تلك الآليات الحيوية، تبدأ بتأصيل المشكلة وفهمها و"هضمها" وتشكيل أضداد "فكرية" و إيديولوجية ضدها، ثم الاحتفاظ بهذه الأضداد وتطبيقها حيث يجب، مع تطوير آلية للتنبه الذكي بتطور بؤرة خبيثة ما.

علماً أن البؤر السرطانية في الجسم غالباً ما تتطور بشكل صامت ثم تكتشف بعد أن يستقل الأمر، أحياناً بسبب صعوبة كشفها، وأحياناً أخرى بسبب إهمال الإشارات التي تعطيها العضوية الحية بوجود خلل ما، كإهمال كتلة صغيرة ظهرت تحت الذراع لصغر حجمها وعدم وجود الألم، أو إهمال عرض هضمي معين سيء الإنذار لاستسهال تناول بعض الأدوية التي تكتم الأعراض وتخفيها دون معرفة السبب الحقيقي لظهورها. وعند إسقاط هذه الحقيقة على المجتمع و انطلاقاً مما ذكرناه بأن أي ظاهرة اجتماعية لا تظهر من عدم وبين ليلة وضحاها، فإن إهمال الباحثين والمعنيين للإشارات التي تصدرها فئات أو جماعات معينة بشكل ضمني غير صريح يؤدي إلى تطور بؤر التطرف واستفحالها وتجذرها قبل اكتشافها. علماً أن تحليل الخطاب الديني، السياسي، قد يكشف للباحثين الكثير.

إذاً، وبناءً على ما سبق فإن البحث في المجتمع البيولوجي قد يساعد في تطوير نماذج التعايش الإنساني، وفي استنباط آليات للتنبؤ بالخلل وانعدام التوازن، كما قد يوحي للدارسين والباحثين بابتكار آليات دفاع مجتمعية تقي من الشروخ والفتن عن طريق التفكير خارج الصندوق.



## الخاتمة:

إنّ تفاوت الآراء بين مؤيدي استخدام مصطلح التّعايش ومعارضيه يمكن ردها إلى ضبابية المصطلح والخلط بينه و بين مصطلح التّسامح الذي - وإن كان محبباً عند البعض على أنّه خلق نبيل وحسن- إلا أنّه يفترض وجود نوع من الطّبقية على الأقلّ بين فئتين من فئات المجتمعات تتساهل إحداها مع الأخرى تجاه معتقداتها، وتتقبّلها على الرغم من أنّها "غير مقبولة"، وإنّ التّمييز بين المصطلحين وتعميم ثقافة التّعايش المبنية على التّساوي في المكانة المجتمعية وفي سوية المواطنة على أساس الحقّ والواجب يرقى بالمجتمع إلى التمدّن والتّحضّر.

وقد توصلنا إلى أنّ دراسة حالة التّعايش في المجتمعات البيولوجية الحيّة بشكل عام وفي العضوية الحيّة بشكل خاص يمكنه أن يقدم رؤى جديدة قد تساعد في التّغلب على العديد من مشاكل التّعايش، وترسم آفاقاً جديدة وطرقاً لحل المشاكل المجتمعية بأساليب مألوفة خلويّاً وبيولوجياً ومبتكرة مجتمعيّاً وإنسانيّاً.

## النتائج والتوصيات:

1- إنّ التّعايش والتّسامح مفهومان مختلفان، من الأصحّ عدم استخدامها كمصطلحين مترادفين.

2- إنّ الجماعات الإنسانية المختلفة والمتنوّعة في المجتمعات متعدّدة الأعراق والأجناس والأديان، والتي تتشارك المواطن نفسه لا يمكنها الانعزال عن مجاوراتها، وهي مجبرة على التّعايش فيما بينها لتحقيق مصالحها المختلفة والحفاظ على وجودها وليست مخرّبة.

3- يجب النّظر إلى الفئات المجتمعية التي تنغلق على نفسها على أنّها بؤرة محتلمة للتّطرف أو الانفصال، ولذا فمن الأفضل كسر حالة انغلاقها وإدماجها مجتمعيّاً بشكل مدروس.

4- إنّ التّجدد والتّطور والإبداع مرتبطان بالانفتاح على الآخر، ولا يؤمل من أية جماعات متعصّبة لذاتها ومنغلقة على نفسها أن تقدّم أي جديد للحضارة الإنسانية.

5- لكلّ ظاهرة مجتمعية أساس أيديولوجي تستند إليه، وهي تبصر النّور في مجال زمني ومكانيّ محدّد بناء على تأثير البيئة المحيطة، لذا يُمكن العمل على تغيير الظواهر غير

المرغوبة مجتمعياً بالعمل على التغيير الإيديولوجي البطيء، وتخفيف تأثير البيئة المحيطة بتعزيز البنية المجتمعية الداخلية، كما يمكن التنبؤ بهذه الظواهر إلى حد ما بدراسة واستقراء الرأى العام.

6- إنَّ المحافظة على التَّعاشِش الإيجابي بين مكُونات المجتمع، مع الأخذ بعين الاعتبار عدم إمكانية عزل المجتمع عن تأثيرات المحيط، يقتضي تطوير طرق الدِّفاع الذاتي والمناعة المجتمعية الداخليَّة ضدَّ كل ما يستهدف حالة التَّعاشِش هذه، وإنَّ بناء هذه المناعة يستدعي وعياً جمعياً داخلياً لأهميَّة حالة الاستقرار والتَّوازن التي يخلقها التَّعاشِش الإيجابي.

7- يُمكن بناء هذا الوعي الجمعيّ بتعزيز الأمن الاجتماعيّ الذي "يُطمئن" جميع فئات المجتمع على سلامة انتماءاتها "الصَّغرى"، وجمعها تحت انتماء واسع هو المواطنة القائمة على التَّساوي في الحقوق و الواجبات، وعلى التَّبادليَّة mutualism، وإقضاء نماذج التَّعاشِش السَّلبى القائمة على الاستغلال أو على "الطَّبقيَّة" التي تلوح بها مفاهيم التَّسامح والتَّساهل وتقبُّل الآخر رغم عيوبه.

8- يوصى بتحليل الخطاب الدِّيني في المجتمعات المتعدِّدة إيديولوجياً، وبدراسة لغة "الشَّارع"، وإعطاء أهميَّة كبيرة لما يتمّ تداوله على وسائل التَّواصل الاجتماعيّ، لاستقراء مؤشِّرات الخطر عند وجودها، وللعمل على تفتيت لغة الكراهية عند استخدامها.

## قائمة المراجع:

### أولاً: المراجع باللغة العربية:

#### 1- الكتب:

- الخواجة، محمد ياسر. " المجتمع المدني وتنمية رأس المال الاجتماعي"، نيويورك للنشر والتوزيع، 2018.

- المصري، خالد موسى. "نظريات العلاقات الدولية"، SPR Agency و الأكاديمية السورية للتدريب والتطوير، ط 1، 2018.

- النقاش، أنيس. "الكونفدرالية المشرقية: صراع الهويات و السياسات"، بيروت، دار بيسان، ط 2، ديسمبر 2016.

#### 2-المجلات و الدوريات و الصحف:

- الشمري، مازن خلف ناصر. "الحق في التعايش السلمي بين المذاهب والأديان من منظور القانون الجنائي"، Route Educational & Social Science journal، الجزء 6(2)، كانون الثاني 2019.

- كريمة، بلعز. " فلسفة التعايش و دورها في التنوع الثقافي"، مجلة آفاق علمية، المجلد 11، العدد 3، 2019/06/15.

- مهدي، عبير سهام. "مفهوم التعايش السلمي ودوره في تحقيق الوحدة الوطنية: العراق نموذجاً"، مجلة حولية المنندى، الجزء الأول، 2011.

#### 3-المقالات و الصحف الإلكترونية:

- الجسمي، عبد الله. " التعايش يقتضي الإقرار بحق الاختلاف وتحقيق الوحدة في

ظل التنوع والتعددية"، مجلة تعايش الإلكترونية، 25/ ديسمبر / 2019، يُمكن

الاطلاع على المقال عبر الرابط التالي:

<https://peacems.com/taayosh/articles/humanitarian->

[./participants/hp-a02-aj](https://peacems.com/taayosh/articles/humanitarian-participants/hp-a02-aj)

- عامر، عادل. "دور الأمن الإنساني في تحقيق التعايش السلمي"، صحيفة دنيا الوطن الإلكترونية، 2018/10/20، يُمكن الاطلاع على المقال عبر الرابط التالي: [.https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/475729.html](https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/475729.html)
- عبد الفتاح، نبيل. "أطر مؤسسية: السعي لبناء ثقافة التعايش المشترك"، المركز العربي للبحوث والدراسات، الأحد 12 يونيو 2016، يُمكن الاطلاع على الدراسة عبر الموقع التالي: <http://www.acrseg.org/40233>
- غليون، برهان. "الثقافة كمنبع للحرية"، صحيفة الاتحاد، 1/ديسمبر/2010، يُمكن مراجعة المقال عبر الرابط التالي: [.https://www.alittihad.ae/wejhatarticle/56176](https://www.alittihad.ae/wejhatarticle/56176)
- منصورى، محمد. "من التسامح إلى التعايش"، جريدة هسبريس الإلكترونية، 7/يناير/ 2016، يُمكن مراجعة المقال عبر الرابط التالي: [.https://www.hespress.com/opinions/290371.html](https://www.hespress.com/opinions/290371.html)

#### 4- المعاجم و القواميس:

- معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، 2008.

#### 5- التّقارير الرّسمية:

- إعلان اليونسكو العالمي بشأن التّنوع التّقافي"، المؤتمر العام لليونسكو، الدّورة الحادية والثلاثين، باريس 2نوفمبر/ تشرين الثاني/ 2001.

#### ثانياً: المراجع باللّغة الانكليزيّة:

- Cohen, Robert S. , *The Natural Sciences and the Social Sciences: Some Critical and Historical Perspectives*, Springer Netherlands, Edition number 1, Chapter 8, 1994.
- Galavenek , Janel B. & Katrin Planta, *Peaceful Coexistence? 'Traditional' and 'Non-traditional' Conflict Resolution Mechanisms*, Berghof Foundation, 06/03/2017.

- Heylighen , Francis, *The Global Superorganism: an evolutionary–cybernetic model of the emerging network society*, submitted to: journal of social and evolutionary systems, 2007, URL=  
<https://www.semanticscholar.org/paper/The-Global-Superorganism%3A-An-Model-of-the-Emerging-Heylighen/b4129236c8837e771540a1d7fb6fdb970682387a>.
- Heylighen , Francis, *Towards a Global Brain: Integrating Individuals Into The World-Wide Electronic Network*, in: Der sinn der Sinne, Uta Brandes & Claudia Neumann (Ed.),1997, URL=  
<http://pespmc1.vub.ac.be/Papers/GBrain-Bonn.html>.
- Paul, Bartha, *Analogy and Analogical Reasoning*, The Stanford Encyclopedia of Philosophy, (Spring 2010 Edition), Edward N. Zalta (ed.), First published Tue Jun 25, 2013; URL =  
<https://plato.stanford.edu/archives/spr2019/entries/reasoning-analogy>.

**Dictionaries:**

- Cambridge Online dictionary, Cambridge University Press 2020, URL=  
<https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/coexistence>.
- Longman Dictionary for Contemporary English, Pearson, May 2018, URL= <https://www.ldoceonline.com/about.html>.